حوّاء

للأستاذ علي أحمد باكثير

قلبي يحن إلى عهودك   وإلى رضائك أو صدودك
وإلى محيّا سـاهمٍ   فيه القضاء على عميدك

فيـه شكاياتى وأحـ   ـزانى وآلامى ويأسى
وضناى فيـه ووحدتى   من غير آسٍ أو مُواسِ

يرنى له قلبى فلا   يرنى لغير مُصَابه ...
فكأنه المـرآة يُبْـ   ـصر فيـه قلبىَ ما به !

حتّى إذا ما افترّ ثغـ   ـرُكِ عن ثناياك العِذَاب
وهفا الضياء على لمـا   كِ كأنه العسل المُذَاب

وتلألأت عينـاكِ وا   بثق الشُعاع الحـالمُ
خطرَتْ لِى الدنيا بِفِيـ   ـكِ فكل شىء باسم !

خطرت كوجه الأُمّ يبـ   ـسم للوليـد الراضعِ
يسرى بمَبْسِمَيْهَا على   نَهَـر النعيم الواسع !

عَقَلَ ابتسامتَها لأوّل   مرّةٍ فى عُمْـره
فرنا بطَرْفٍ فيه أوّلُ   خفقةٍ مِنْ فكره !

عقل الحقيقة كالخيـال   هنـاك فى تلك الدقيقه
ولطالمـا مِنْ قَبْلُ كا   ن له الخيال هو الحقيقه

أو كالوجود بدَتْ لِعَيْـ   ـنَىْ شـاعرٍ أسرارُه
فى لحظةٍ مِنْ وحيِـه انـ   ـهتكتْ له أسـتاره

فكأنه لم يَدْرِ أوْ   يَرَ قبْلها فى الكون شيا
أو كان صخراً مسّه   سرُّ الإله فقام حيّا

يا نظرةً كُنْتُ الوليـ   ـد بها وكنتُ الشاعرا !
والأمّ كنت بها وكنْـ   ـتِ بها الوجود الساحرا

ما كان ثمّةَ غيرُ عيـ   ـن الله ترعانا حنانا
وكأنه مِنْ عطْفِـه   إذ ذاك لم يخلُقْ سوانا !

يا ليت شعرى هل أحسّ   بمثل ما أحسَسْتُ آدم

لمـا بدوتِ لعينـه   حوّاء فى عهد تقادم ؟

فهفا إليك كما هفوتُ   وما له أمٌّ سـواكِ
فرحمتِه وجـرتْ على   أطراف جُمّتِهِ يداك !

أخرجتِ آدم مِنْ جنا   ن الخلد لكن كُنْتِها له !
أنقذته بهواك من   تلك السـآمة والملاله

فأحسّ فى الدنيا الشقا   ء وكابد الألم الكبيرا
فازدادَ بالسرّاء والـ   ـنعماء فى الدنيا شعورا

ما بالُ آدمك الجديـ   ـد تركتِه فى شِقوته ؟
لم ترحمى بلواه إذْ   أخرجتِه من جنّته

قد كان يأمل إذ عصى   مولاه فيك مزيد عطفك
ويح الشقىّ ... حرمْتِه   مِنْ لطف مولاه ولطفك !

أهبطتِه من جنّتَيْـهِ   فهام فى الدنيا شريدا
يبكيك فى المأوى ويبـ   ـكى عهدك العهد السعيدا !

كيف السبيل إلى الرجو   ع إلى نعيمى السالفِ ؟
وشفاء حرّى مهجتى   وسكون قلبى الواجف

وبأىّ وجهٍ بعد عصـ   ـيانيه ألقى وجه ربى ؟
ولئن جرُؤتُ فمن لقلبى   فى يمينك ... مَنْ لقلبى ؟

أأجيئه مِنْ غير قلبٍ ؟   كيف كيف يكون ذاكِ ؟
ردّيه لى أطلُبْ رضا   هُ حينَ لم أدرك رضاك !

حوّاء ذاتَ العدلِ ! فيم   عدلْتِ إلاّ فىّ وحدى ؟
وعلامَ يا حوّاء حافظةَ الـ   ـعهود نسيتِ عهدى ؟

لم تُنْصفينى إذْ برَرْ   تِ بآدمٍ وقطعتِ حبْلى
وهو الّذى ما إنْ حفظْـ   ـتِ به ولم تنسيه مِثلى !

أنا منكِ يا حوّاء ... أجـدر بالحنان ... وليس منكِ
إن كنتِ منه فتلك تَعـ   ـدُ مزيّةٌ تقصيه عنك ...

إن الحياة تَعُقُّ بِنتًا   دأبُها وتبرُّ أُمّا ...
هـلاّ سلكتِ سبيلها   فقسمتِ لى بالبؤس نعمى !

أم شئتِ أن تلِى الوجو   د لِتبدئى فى الخلق طورا ؟
لم تغفرِ الأولى ... أأجنى   فيكِ يا حوّاء أخرى ؟!

علي أحمد باكثير